

صدر حديثاً

التَّوْبَةُ وَالْبَصُوحُ

فِي ضَوْءِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ

سَالِمُ الْهَلْفِيِّ

التَّوْبَةُ النَّصُوحُ

في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة

التوبة النصوح

في ضوء القرآن الكريم
والأحاديث الصحيحة

تأليف

سليم الهلالي

حقوق الطبع محفوظة للمكتبة الإسلامية

قصر الكتاب البليدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ
بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ
يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد :

فَإِنَّ التَّوْبَةَ أَوَّلُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ إِلَى مَقَامِ صِدْقٍ
عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ، وَبِدَايَةُ مَدَارِجِ سَالِكِي طَرِيقِ الْآخِرَةِ.
وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا الْبِدَايَةُ فَهِيَ كَذَلِكَ الْوَسْطُ
وَالنَّهَايَةُ، فَلَا يُفَارِقُهَا الْعَبْدُ السَّالِكُ وَلَا يَزَالُ فِيهَا إِلَى
الْمَمَاتِ، وَإِنْ ارْتَحَلَ إِلَى مَنْزِلٍ آخَرَ ارْتَحَلَ بِهِ
وَاسْتَضْحَبَهُ مَعَهُ وَنَزَلَ بِهِ.

فَالتَّوْبَةُ هِيَ بَدَايَةُ الْعَبْدِ وَنَهَايَتُهُ، وَحَاجَتُهُ إِلَيْهَا فِي

النهاية ضرورة كما أن حاجته إليها في البداية كذلك.

وبدايتها ندم يورث عزمًا وقصدًا وعلمًا بأن المعاصي تكون حائلًا بين الإنسان وربه؛ فيهرع إلى النجاة والسلامة، ولا منجا من الله إلا إليه، ويخرج من بين الخوف والرجاء توبة نصوحًا، وهذا سبيل المؤمنين التوابين - اللهم اجعلنا منهم.

وهذه الرسالة تأخذ بيدك أخي في الله إلى رحاب التواب الرحيم؛ فتجلبوا لك حقيقة التوبة النصوح، لتكون من التوابين المتطهرين.

أسأل الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم أن يتقبل توبتنا، ويغسل حوبتنا، وأن يكتب لهذه الرسالة القبول الحسن فتكون للتائبين إمامًا.

وكتبه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي
لثلاث ليالٍ خلت من شعبان سنة
أربعمائة وسبع بعد الألف من هجرة
نبينا صلى الله عليه وسلم.

قبس من التنزيل

● قال الغفور الرحيم:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: آية ٣١].

● وقال التواب الرحيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً
عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة التحريم: آية ٨].

- ١ -

تعريف التَّوبَةِ النَّصُوحِ

التوبة النصوح:

هي رجوع العبد إلى الله سبحانه لا شريك له من
ذنب سبق اقترافه قصداً أو جهلاً رجوعاً صادقاً خالصاً
محكماً موثقاً بطاعات ترقى بالعبد إلى مقامات
أولياء الله المتقين وتحول بينه وبين سبل الشيطان.

- ٢ -

وجوب التوبة النصوح

اعلم أيها العبد التائب - وفقك الله لتوبة تَجُبُّ ما قبلها، وزودك التقوى - أن التوبة النصوح فرض عين على كل مسلم.

قال الغفور الرحيم:

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور: آية ٣١].

وقال التواب الرحيم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾ [سورة التحريم: آية ٨].

وقال الرحيم الودود على لسان شعيب عليه الصلاة والسلام:

﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
وَدُودٌ﴾ [سورة هود: آية ٩٠].

وهذه الآيات الكريمة الصريحة موافقة للأحاديث
الشريفة الصحيحة:

قال صلى الله عليه وسلم:
«يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إلى الله
في اليوم مائة مرة».

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ص ٩٢)، ومسلم
(٢٤/١٧ - نووي) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله
عنهما.

لذلك أجمعت الأمة الإسلامية - زادها الله شرفاً -
على وجوب التوبة.

قال القرطبي رحمه الله في «الجامع لأحكام
القرآن» (٩٠/٥):

واتفقت الأمة على أن التوبة فرض على
المؤمنين.

وقال ابن قدامة المقدسي في «مختصر منهاج
القاصدين» (ص ٣٢٢):

الإجماع منعقد على وجوب التوبة.
ففرّوا يا عباد الله إلى الله لتجدوه تواباً رحيمًا،
واسلكوا سبيل المؤمنين التوابين عسى أن يبعثكم
ربكم مقاماً كريماً.

- ٣ -

كل ابن آدم خطاء

ويؤكد وجوب التوبة النصوح على الدوام والفور
أن الإنسان لا يخلو من معصية فلا يسلم من هذا
النقص أحد من البشر، وإنما يتفاوت الخلق في
المقادير أما أصل ذلك فلا بد منه ويجبر بالتوبة
النصوح.

قال صلى الله عليه وسلم:
«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».

أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد
(١٩٨/٣)، والحاكم (٢٤٤/٤) عن أنس رضي الله عنه
وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٤٣٩١).

وقال صلى الله عليه وسلم:
«لو أن العباد لم يذنبوا لخلق الله خلقاً يذنبون ثم
يغفر لهم وهو الغفور الرحيم».

أخرجه الحاكم (٢٤٦/٤)، وأبو نعيم في «الحلية»
(٢٠٤/٧) وصَحَّحَهُ الألباني في «سلسلة الأحاديث
الصحيحة» (٩٦٧).

فهياً عباد الله إلى توبة نصوح تطهر الروح من
أدرانها، وتغسل القلب من رانها؛ فإن الذنوب ران
القلوب، وحجاب عن المحبوب، والانصراف عما
يبعد عن المحبوب واجب مطلوب.
قال صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ
فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ^(١) قَلْبُهُ مِنْهَا وَإِنْ زَادَ
زَادَتْ حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ فَذَلِكَ الرَّانُ^(٢) الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ
وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَأَنَّ بِلَ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: آية ١٤].»

أخرجه الترمذي (٣١٠٣٤)، وابن ماجه (٤٢٤٤) وأحمد

(١) الصقل بالصاد أو السين بمعنى واحد وهو الجلاء والمراد أن
التوبة تجلو وتمحو الخطيئة.

(٢) الران صدا يغشى القلب حتى يسود من الخطايا.

(٢٩٧/٢)، وابن حبان (٢٤٤٨ - موارد)، والحاكم
(٥١٧/٢) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في
«صحيح الجامع الصغير» (١٦٦٦).

- ٤ -

الحض على التَّوْبَةِ النَّصُوح

لقد حث الله سبحانه وتعالى على التَّوْبَةِ
والاستغفار لأنها خير من المواظبة على الذنب
والإصرار.

قال جل ثناؤه:

﴿فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ
عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ
وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة التوبة: آية ٧٤].

وقال الغفور الرحيم:

﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: آية ٧٤].

لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم كثير التَّوْبَةِ
والاستغفار حتى أن أصحابه رضوان الله عليهم

يعدون له في المجلس: «رب اغفر لي وتب علي
إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة.

أخرجه الترمذي (٣٤٣٤)، وأحمد (٢١/٢) عن ابن
عمر رضي الله عنهما وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث
الصحيحة» (٥٥٦).

وكذلك كان أنبياء الله ورسله يحضون أقوامهم
على التوبة.

قال تعالى: على لسان صالح عليه الصلاة
والسلام:

﴿وَالِى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ
فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾
[سورة هود: آية ٦١].

ورحم الله القرطبي الذي استحسن في «تفسيره»
(٩٢/٥) قول محمد الوراق القائل:

قَدَّمَ لِنَفْسِكَ تَوْبَةً مَرَجُوءَةً

قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَبْلَ حَبْسِ الْأَلْسِنِ

بَادِرَ بِهَا غَلَقَ النَّفُوسِ فَإِنَّهَا

ذُخْرٌ وَغُنْمٌ لِلْمُنِيبِ الْمُحْسِنِ

سعة رحمة الله

مرحباً بعباد الله الذين أسرفوا على أنفسهم في
رحاب الله الذي وسع كل شيء رحمة وعلماً.

قال تعالى :

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ
تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة
غافر: آية ٧].

٥ - ١ - من رحمة الله أنه أخبر عباده أنه يغفر
الذنوب.

قال تعالى :

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: آية ٥٣].

بل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبلغ ذلك :
﴿نَبِّءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة
الحجر: آية ٤٩].

٥-٢ - ومن رحمته سبحانه وتعالى أنه يقبل
التوبة.

قال تعالى :
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة
التوبة: ١٠٤].

لأنه جل جلاله :
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي
الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [سورة غافر: آية ٣].

هذا البيان لأن الله سبحانه :
﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّيسَةَ وَيُهَدِّيكُمْ سُبُلَ الدِّينِ مِنَ
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة النساء:
آية ٢٦].

وقال أيضاً:

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

٥ - ٣ - ومن رحمته أنه يحب العبد الأبواب
التواب.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾
[سورة البقرة: آية ٢٢٢].

٥ - ٤ - ومن رحمته عز وجل أنه يفرح بتوبة
عبده حين يعلم أن له رباً تواباً رحيماً يغفر الذنوب
ويتجاوز عن المسيء.

قال صلى الله عليه وسلم:

«لله أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من
أحدكم كان على راحلته بأرضِ فلاة^(١) فانفلتت^(٢) منه

(١) الفلاة: الأرض الخالية.

(٢) انفلتت: تخلصت منه فجأة.

وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع
في ظلها وقد أيس من راحلته فينما هو كذلك إذ هو
بها قائمة عنده فأخذ بخطامها^(١) ثم قال من شدة
الفرح: اللهم أنت عبي وأنا ربك أخطأ من شدة
الفرح».

أخرجه مسلم (١٧/٦٣ - نووي).

٥ - ٥ - ومن رحمته سبحانه وتعالى أنه فتح باب
التوبة ليلاً ونهاراً.

قال صلى الله عليه وسلم:

«إن الله تعالى ييسط يده بالليل ليتوب مسيء
النهار وييسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى
تطلع الشمس من مغربها».

أخرجه مسلم (١٧/٧٦ - نووي).

(١) الخطام: الحبل يجعل في طرفه حلقة ثم يقلد البعير ثم يثنى على
أنفه ولا يثقب له الأنف.

٥ - ٦ - ومن رحمته أنه يقبل التوبة وإن تكررت
الذنوب والتوبة لأنه سبحانه التواب الغفور الودود.

قال عز شأنه :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ
أَنْهَمُ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ
لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء :
آية ٦٤].

وقال جل جلاله :

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ
يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة النساء : آية ١١٠].

وقال صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه
عز وجل قال :

«إذا أذنب عبدٌ ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ذنبي
فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً
يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال : أي
رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى : عبدي أذنب

ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد
فأذنب فقال: أي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك
وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب
ويأخذ بالذنب اعمل ما شئت فقد غفرت لك».

أخرجه مسلم (١٧/٧٥ - ٧٦ - نووي).

فضائل التوبة النصوح

٦ - ١ - التوبة النصوح تَجِبُ ما قبلها^(١) :

اعلم أيها العبد الأواب - أمدك الله بروح منه - أن
من تاب توبة نصوحاً التحق بمن لم يرتكب ذنباً لأن
الثوب المغسول كالذي لم يتسخ .

قال صلى الله عليه وسلم :

«التائب من الذنب كمن لا ذنب له» .

حسن - أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٠) وغيره عن عبدالله بن
مسعود رضي الله عنه .

(١) اشتهر على السنة العامة ووقع في مصنفات بعض العلماء أن
«التوبة تجب ما قبلها» حديث مرفوع من قول النبي ﷺ .
وبعد بحث وأناة تبين أن هذا اللفظ لا أصل له وإن كان معناه
صواباً ولكن ليس كل صواب قولاً للرسول ﷺ .
وقد أوعبت في تفصيل ذلك في كتابي «القول الفصل في الأحاديث
التي ليس لها أصل» (١٠) .

سئل ابن الجوزي رحمه الله : أأسبح أو أستغفر
فقال : «الثوب الوسخ أحوج إلى الصابون من البحور»^(١).

٦ - ٢ - التوبة النصوح تبدل السيئات حسنات .

قال تعالى :

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ
يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
[سورة الفرقان : آية ٧٠].

٦ - ٣ - التوبة النصوح سبب الفلاح

خاطب الله تبارك وتعالى أهل الإيمان وخيار خلقه
أن يتوبوا إليه ثم علق الفلاح بالتوبة تعليق المسبب
بسببه وأتى بـ «لعل» و «عسى» المشعرة بالترجي
إيدانا بأنكم إذا تبتم كنتم على رجاء الفلاح ، فلا يرجو
الفلاح إلا التوابون - جعلنا الله وإياك أخا الإسلام
منهم .

(١) نقله ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (١١/١٠٣) أخرجه
واستحسنه .

قال تعالى :

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَنْ
يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [سورة القصص : آية ٦٧].

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ
تُصْحَوْنَ﴾ [سورة النور : آية ٣١].

٦ - ٤ - التوبة النصوح طريقك إلى الجنة
وحجابك من النار..

قال الغفور الودود :

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُولَئِكَ
يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئاً﴾ [سورة مريم :
٦٠].

وقال الخبير القدير :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً
عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ

وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿ [سورة التحريم: آية ٨].

وقال ذو العرش المجيد على لسان حملة العرش العظيم:

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: آية ٧].

٦ - ٥ - التوبة النصوح مطهرة للقلب ممحاة للذنوب مرضاة للرب.

قال تعالى:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [سورة التحريم: آية ٤].

وقال صلى الله عليه وسلم :

«إن العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نقطة سوداء
فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد
فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله تعالى :
﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» .

أخرجه الترمذي (٣٣٣٤) ، وابن ماجه (٤٢٤٤) وأحمد
(٢٩٧/٢) وابن حبان (٢٤٤٨) والحاكم (٥١٧/٢) وصححه
ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير»
(١٦٦٦) .

٦ - ٦ - التوبة النصوح سبب في الحياة الدنيوية
الهادئة المطمئنة الطيبة .

قال تعالى :

﴿وَأَن اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم
مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ
فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾
[سورة هود: آية ٣] .

٦ - ٧ - التوبة النصوح ثمر بركات من السماء والأرض.

قال تعالى على لسان هود عليه الصلاة والسلام :
﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا
تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: آية ٥٢].

وقال على لسان نوح عليه الصلاة والسلام :
﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ
السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ
لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [سورة نوح: آية ١٠ -
١٢].

لمثل هذه التوبة أعدوا يا عباد الله لتكونوا مع
المؤمنين وتنالوا هذا الفضل العظيم والخير العميم
والمقام الكريم مصداقاً لقول البر الرحيم :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ
وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ

يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[سورة النساء: آية
١٤٦].

- ٧ -

شروط التوبة النصوح

٧ - ١ - الإسلام:

اعلم أيها المسلم - زادك الله ثباتاً على دينه - أن التوبة لا تصح إلا من مسلم أما الكافر فتوبته دخوله في الإسلام^(١).

قال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ

(١) لا يخدعك أخا الإسلام ندم بعض أئمة الكفر الذين يدعون إلى النار ولا دموعهم؛ فإنها دموع التماسيح. فهلاً دخلوا في دين الله أما وهم يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون ففي أمثالهم قيل: لا تنظر إلى دموع عينيه ولكن انظر إلى فعل يديه.

يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾
[سورة النساء: آية ١٨].

وذلك لأن الشرك ظلمٌ عظيمٌ يحبط الأعمال ولو كانت كالجبال.

قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾
[سورة النساء: آية ١١٦].

فلا يقبل الله من الكافر صرفاً ولا عدلاً إلا بدخوله في الإسلام.

قال تعالى:

﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَأِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: آية ١١].

٧ - ٢ - الإخلاص.

لا تصح التوبة الشرعية إلا بالإخلاص فمن ترك

ذنباً لغير الله - كأن يتركه شحاً على ماله أو لئلا يُعِيرَهُ
الناس أو عجزاً عن اقترافه - لا يكون تائباً باتفاق .

لذلك قِيَدَتِ التوبة بأن تكون إلى الله .

قال تعالى :

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [سورة

التحریم : آية ٤] .

وقال تعالى :

﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور : آية ٣١] .

وقال تبارك وتعالى :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ

وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ

يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً﴾ [سورة النساء : آية

١٤٦] .

٧ - ٣ - الاعتراف بالذنب .

الجهل بالذنوب ينافي الهدى ، فلذلك لا تصح

التوبة إلا بعد معرفة الذنب، والاعتراف به، وطلب
التخلص من سوء عواقبه أولاً وآخرأً.

قال صلى الله عليه وسلم لعائشة في قصة
الإفك:

«أما بعد يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا
فإن كنت بريئة فسيروك الله، وإن كنت ألممت بذنب
فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف ثم تاب
تاب الله عليه».

أخرجه البخاري (٤٣٤/٧ - الفتح) ومسام
(١١١/١٧ - نووي).

٧ - ٤ - الندم:

لا تتحقق التوبة إلا به إذ مَنْ لم يندم فذلك دليل
على الرضى بالقبح قال ﷺ:
«الندم توبة».

أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢) وأحمد (٣٥٦٨ و ٤٠١٢
و ٤٠١٤ و ٤٠١٦) والبيهقي في «شرح السنة» (١٣٠٧)

والحاكم (٢٤٣/٤) وصححه ووافقه الذهبي والألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦٦٧٨).

٧-٥ - الإقلاع عن المعصية ورد المظالم.

يجب على التائب أن يقلع عن الذنب، ويرد الحقوق إلى أصحابها إن كانت مالا أو نحوه، وإن كان حد قذف أو نحوه مَكَّنَّه منه، أو طلب عفو، وإن كانت غيبة استحله منها إن لم يترتب على هذا الاستحلال نفسه مفسدة أخرى، وإلا فالواجب الاكتفاء بالدعاء له.

قال تعالى :

﴿وَإِنْ تُبْتَغُوا فَلََكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٧٩].

٧-٦ - أن يتوب قبل الفرغرة.

لا تقبل التوبة في حالة الفرغرة وهي : حالة النزاع.

قال تعالى :

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ

بِجَهَالَةٍ^(١) ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿[سورة النساء: آية ١٧].
وكل من تاب قبل الموت؛ فقد تاب من قريب.
قال تعالى:

﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾
[سورة النساء: آية ١٨].

لأن البعد هو الموت.

قال مالك بن الريب وهو يرثي نفسه:

يقولون لا تبعد وهم يدفونني

وأين مكان البعد إلا مكانيا

قال صلى الله عليه وسلم:

«إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يفرغ»^(٢).

(١) كل شيء عصى به فهو جهالة عمداً كان أو غيره بإجماع أصحاب رسول الله ﷺ. أفاده ابن جرير في «تفسيره» (٢٠٢/٤).

(٢) أي ما لم تبلغ روحه حلقومه فتكون بمنزلة الشيء يفرغ به، أفاده البغوي في «شرح السنة» (٩١/٥).

أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٦١٦٠ و ٦٤٠٨)، والبخاري (١٣٠٦)، وابن حبان (٢٤٤٩) والحاكم (٢٥٧/٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه النووي في «شرح مسلم» (٢٥/١٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (١٨٩٩).

لذلك لم يقبل قابل التوب تبارك وتعالى توبة فرعون عندما أدركه الغرق.

قال سبحانه وتعالى :

﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَآئِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [سورة يونس : ٩٠ - ٩٢].

٧ - ٧ - أن يتوب قبل طلوع الشمس من

مغربها.

لقد فتح الحليم العليم سبحانه وتعالى باباً للتوبة

بالمغرب مفتوحاً على مصراعيه حتى يأتي بعض
آيات الله فتطلع الشمس من قبله .

قال صلى الله عليه وسلم :

«إن الله عز وجل جعل بالمغرب باباً مسيرة
عرضه سبعون عاماً للتوبة لا يغلق ما لم تطلع
الشمس من قبله وذلك قول الله عز وجل : ﴿يَوْمَ يَأْتِي
بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ
مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الأنعام : آية ١٥٨] ^(١) .

وقد خيّر الكريم المَنَّان تبارك وتعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بأن يجعل جبل الصِّفا ذهباً أو

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٣٥ و ٣٥٣٦)، وابن ماجه (٤٠٧٠)، وأحمد
(٢٤٠/٤ و ٢٤١) والطيالسي (٢٧٨٧ - منحه المعبود)، والبخاري
في «شرح السنة» (١٣٠٥) و«معالم التنزيل» (١٤٤/٢)، وابن
جرير الطبري في «جامع البيان» (٧٢/٨) كلهم عن عاصم عن
زبر بن حبيش عن صفوان بن عسال المرادي عنه به مرفوعاً .
قلت: وهذا إسناد حسن لأن عاصم بن أبي النجود - على إمامته
في القراءة - حسن الحديث لكن تابع زبيد اليامي عاصم بن أبي
النجود عند ابن جرير (٧٨/٢) . وزبيد هو ابن الحارث اليامي ثقة
ثبت عابده؛ فالحديث صحيح والله أعلم .

يفتح باب التوبة والرحمة فاختار النبي صلى الله عليه وسلم الحريص على أمته باب التوبة والرحمة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصِّفا ذهباً ونؤمن بك قال: «وتفعلون؟» قالوا: نعم فدعا فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول: إن شئت أصبح لهم الصِّفا ذهباً فمن كفر بعد ذلك منهم عذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة قال: «بل باب التوبة والرحمة».

أخرجه أحمد (٢٤٢/١ و ٣٤٥) ومن طريقه الحاكم (٢٤٠/٤) وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قال.

فمن تاب وباب التوبة مفتوح تاب الله عليه.

قال صلى الله عليه وسلم:

«من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله

عليه».

أخرجه مسلم (٢٥/١٧).

٧ - ٨ - الاستقامة بعد التوبة .

قال تعالى :

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة هود: آية ١١٢].

٧ - ٩ - الاصلاح بعد التوبة .

قال تعالى :

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ
مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الأنعام: آية ٥٤].

وقال الغفور الودود:

﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ
عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة المائدة: آية ٣٩].

وقال جل جلاله :

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿[سورة آل عمران : آية ٨٩ وسورة النور : آية ٥].

وقال تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ
بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل : آية ١١٩].

٧ - ١٠ - البيان .

قال التَّوَّابُ الرَّحِيمُ :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى
مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ
وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا
فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة
البقرة : آية ١٥٩ - ١٦٠].

٧ - ١١ - الإيمان والعمل الصالح .

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا
وَأَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة
الأعراف : آية ١٥٣].

وقال عز وجل :

﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَنْ
يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ [سورة القصص: آية ٦٧].

وقال تبارك وتعالى :

﴿وَمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلِنَّهُ يُتُوبُ
إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ [سورة الفرقان: آية ٧١].

وقال الغفار الرحيم :

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ
اهْتَدَىٰ﴾ [سورة طه: آية ٨٢].

قال سفيان الثوري : «ثم اهتدى أي علم أن لهذا
ثواباً» كما في «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير
(١٦٩/٣).

- ٨ -

الصدق في التوبة

إذا عزمت أيها العبد التائب على توبة نصوح
وصدقت الله فتوكل عليه فإن الله جواد كريم لن يردك
خائباً ولو بلغت ذنوبك عنان السماء.

وإليك أخبار قوم صدقوا الله فصدقهم وتقبل
توبتهم وغسل حوبتهم.

٨-١ - نبأ من قتل مائة نفس.

قال صلى الله عليه وسلم:

«كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين
نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فذُلَّ به رهاب فأتاه
فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة
فقال: لا فقتله فكمَّل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل
الأرض فذُلَّ على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس

فهل له من توبة فقال: نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن فيها أناساً يتعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريق أتاه الموتُ فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه على الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاموه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

أخرجه البخاري (٥١٢/٦ - الفتح)، ومسلم (٨٣/١٧) - (٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

وفي رواية لهما: فأدركه الموت فناءً بصدور نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله إلى هذه أن تقرّبي وأوحى الله إلى هذه أن

تباعدني وقال: قيسوا ما بينهما فوجد إلى هذه أقرب
بشبر فغُفِرَ له».

٨ - ٢ - نبأ الثلاثة الذين خَلَفُوا .

قال كعب بن مالك رضي الله عنه :
لم أَتَخَلَّفْ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوةٍ غزاها قطُّ إلا في غزوةِ تبوكَ غير أنني قد
تَخَلَّفْتُ في غزوةِ بدرٍ ولم يُعَاتِبْ أحداً تَخَلَّفَ عنه إنما
خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
يُريدون عيرَ قريشٍ حتى جَمَعَ الله بينهم وبين عدوِّهم
على غير ميعاد .

ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة حين تَواثَقْنَا على الإسلام ^(١) وما أَحَبُّ أنْ
لي بها مشهد بدرٍ وإن كانت بدرٌ أذْكَرَ في الناس منها .

وكان من خبري حين تَخَلَّفْتُ عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في غزوةِ تبوكَ أنني لم أكن قطُّ

(١) أي تبايعنا عليه وتعاهدنا .

أَقْوَى وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ
وَاللَّهُ مَا جَمَعَتْ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّى جَمَعْتُهُمَا فِي
تِلْكَ الْغَزْوَةِ فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
حَرٍّ شَدِيدٍ وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا ^(١) وَاسْتَقْبَلَ
عَدُوًّا كَثِيرًا فَجَلَا ^(٢) لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرُهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أَهْبَةً ^(٣)
غَزَوْهُمْ فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمُ الَّذِي يَرِيدُ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ
كِتَابٌ حَافِظٌ ^(٤) فَقُلَّ رَجُلٌ يَرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ يَظُنُّ أَنَّ
ذَلِكَ سَيُخْفِي لَهُ مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ.

وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تِلْكَ الْغَزْوَةَ
حِينَ طَابَتِ الثَّمَارُ وَالظَّلَالُ فَأَنَا إِلَيْهَا أَصْعَرُ ^(٥) فَتَجَهَّزَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ

(١) أرض خلاء قليلة الماء يخاف فيها الهلاك.

(٢) أي كشفه وبيّنه ووضحه وعرفهم ذلك على وجهه من غير تورية.

(٣) ليستعدوا بما يحتاجون إليه في سفرهم.

(٤) أي الديوان.

(٥) أي أميل.

وطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى استمر بالناس الجدد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادي بي حتى أسرعوا وتفارط (١) الغزو فهمت أن ارتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يُقدَّر ذلك لي فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أنني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق (٢) أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن مالك؟ قال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفه (٣).

(١) أي سبق الغزاة وتقدموا.

(٢) أي متهماً بالنفاق.

(٣) إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.

فقال له معاذ بن جبل: بشس ما قلت. والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مَبِيضاً في السَّرَاب^(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كن أبا خيثمة» فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري وهو الذي تصدَّق بصاع التَّمَر حين لمزه المنافقون.

فقال كعب بن مالك: فلما بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً^(٢) من تبوك حضرني بشي^(٣) فطفقت أتذكُّر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غداً واستعين على ذلك كُلُّ ذي رأي من أهلي فلَمَّا قيل لي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَظْلُ قادمًا^(٤) زاح عني الباطل حتى

(١) أي لابس البياض، والسَّرَاب هو ما يراه الإنسان في الهواجر في البراري كأنه ماء.

(٢) أي راجعاً.

(٣) أي أشد الحزن.

(٤) أي أقبل ودنا قدومه.

عرفت أنني لن أنجو منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه
وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً وكان إذا
قدم من سفرٍ بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس
للناس فلما فعل ذلك جاءه المُخَلَّفون فطفقوا يعتذرون
إليه ويحلفون له وكانوا بضعةً وثمانين رجلاً فقبل منهم
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم
واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله حتى جثت فلما
سَلِمْتُ تَبَسُّمُ تَبَسُّمِ الْمُغْضَبِ ثم قال: تعال فجئت
أمشي حتى جلست بين يديه.

فقال لي: ما خَلَّفَكَ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟.

قال قلت: يا رسول الله إني والله لو جلست عند
غيرك من أهل الدنيا لرأيت أنني سأخرج من سخطه
بعذرٍ ولقد أعطيت جدلاً^(١) ولكني والله قد علمت
لئن حدثتك اليوم حديث ترضى به عني ليوشكنَّ الله
أن يسخطك عليَّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد

(١) أي فصاحة وبراعة بحيث أخرج من عهدة ما ينسب إلي إذا أردت.

عليّ فيه إني لأرجو فيه عقيب الله والله ما كان لي عذر
والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت
عنك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك» فقامت وثار رجال
من بني سلمة فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك
أذنبت ذنباً قبل هذا لقد عجزت في أن لا تكون قد
اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما
أعذر إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: فوالله ما زالوا يؤنبوني^(١) حتى أردت أن
أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكذب
نفسي.

قال ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟.

(١) أي يلوموني أشد اللوم.

قالوا: نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قلت
فقليل لهما مثل ما قيل لك قال قلت من هما؟.

قالوا مَرَارَةُ بن الرُّبَيْعَةِ العامري وهلال بن أمية
الواقفي.

قال: فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرًا
فيهما أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي.

قال: ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تَخَلَّفَ
عنه.

قال فاجتنبنا الناس وقال تَغَيَّرُوا لنا حتى تنكَّرت لي
في نفسي الأرض فما هي الأرض التي أعرف فلبثنا
على ذلك خمسين ليلة: فأما صاحباي فاستكانا وقعدا
في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشبُّ القوم
وأجلدهم^(١)، فكنت أخرج فأشهد الصلاة، وأطوف
في الأسواق، ولا يكلمني أحد، وآتي رسول الله

(١) أي أصغروهم سنًا وأقواهم.

صلى الله عليه وسلم فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة، فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برّد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقُهُ النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إليّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني، حتى إذا طال ذلك عليّ من جفوة المسلمين مشيت حتى تسورت جدار حائط^(١) أبي قتادة وهو ابن عمّي وأحبُّ الناس إليّ، فسلمت عليه فوالله ما رد عليّ السلام.

فقلت له: يا أبا قتادة أنشدك بالله هل تعلمن أنّي أحبُّ الله ورسولهُ. قال: فسكت. فعدت فناشدته فسكت. فعدت فناشدته فقال: الله ورسولهُ أعلم ففاضت عيناى وتولّيت حتى تسورت الجدار.

فبينما أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطيّ من نبط^(٢) أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدُلُّ على كعب بن مالك؟.

(١) أي علوت جدار بستان أبي قتادة.

(٢) أي فلاحو العجم.

قال: فطفق الناس يشيرون إلي حتى جاءني
فدفع إليّ كتاباً من ملك غَسَّانَ وكنت كاتباً فقرأته فإذا
فيه .

أما بعد:

فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ولم
يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك .

قال: فقلت - حين قرأتها - وهذه أيضاً من البلاء
فتياممت بها التنور فسجرتها^(١) بها .

حتى إذا مضت أربعون من الخمسين واستلبث
الوحي^(٢) إذا رسولُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
يأتيني فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك
أن تعتزل امرأتك .

قال: فقلت أطلّقها أم ماذا أفعل؟ .

قال: لا بل اعتزلها فلا تقربنها .

(١) قصدت المكان الذي يصنع به الخبز فأحرقتها .

(٢) أي أبطأ الوحي .

قال: فأرسل إلى صاحبي بمثل ذلك.
قال: فقلت لامرأتي الحقي بأهلك فكوني
عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله إن
هلال بن أمية سيح سابع ليس له خادم فهل نشره أن
أخدمه.

قال: لا ولكن لا يقربنك.

فقالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء ووالله ما
زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

قال: فقال لي بعض أهلي لو استأذنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في امرأتك فقد أذن لامرأة
هلال بن أمية أن تخدمه.

قال: فقلت لا استأذن فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يدريني ماذا يقول رسول الله صلى الله عليه
وسلم إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

قال فلبثت بذلك عشر ليال فكمُلَ لنا خمسون ليلة من حين نُهي عن كلامنا.

قال: ثم صَلَّيْتُ صلاةَ الفجر صباح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل منّا قد ضاقت عليّ نفسي وضاقت عليّ الأرض بما رحبت^(١) سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْعٍ^(٢) يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر.

قال: فَخَرَرْتُ ساجداً وقد عرفتُ أن قد جاء فرج.

قال: فَأَذِنَ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صَلَّيْ صلاةَ الفجر فذهب الناس يُبَشِّرُونَا فذهب قَبْلَ صَاحِبِي مُبَشِّرُونَ وركض

(١) أي بما اتسعت.

(٢) أي صعده وارتفع عليه، وسَلْعٌ جَبَلٌ بالمدينة معروف.

(٣) أي أَعْلَمَ الناس.

رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَى سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قَبْلِي وَأَوْفَى
الْجَبَلِ فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ فَلَمَّا جَاءَنِي
الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي فَتَزَعْتُ لَهُ ثَوْبِي فِكَسَوْتُهُمَا
إِيَّاهُ بِبِشَارَتِهِ وَاللَّهُ مَا أَمْلَكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاسْتَعَرْتُ
ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا فَانْطَلَقْتُ أَتَأَمُّمُ ^(١) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَلَقَانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونِي بِالتَّوْبَةِ
وَيَقُولُونَ: لَتَهْنَأَنَّكَ تَوْبَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ حَتَّى إِذَا دَخَلْتَ
الْمَسْجِدَ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ
فِي الْمَسْجِدِ وَحَوْلَهُ النَّاسُ فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ
يَهْرُولُ حَتَّى صَافَحَنِي وَهَنَأَنِي وَاللَّهُ مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ
الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ فَكَانَ كَعَبٍ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ.

قَالَ كَعَبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُوَ يَبْرِقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ
«أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ».

قَالَ: فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمِنْ
عِنْدَ اللَّهِ؟

(١) أَيِ قَصْدِهِ.

فقال: «لا بل من عند الله».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ
استنار وجهه كأنَّ وجهه قطعة قمرٍ قال: وَكُنَّا نَعْرِفُ
ذلك.

قال فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله إن
من توبتي أن أتخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى
رسوله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: «أمسك بعض مالك فهو خير لك».

قال: فقلت فإني أُمسك سهمي الذي بخير.

قال: وقلت يا رسول الله إن الله إنما أنجاني
بالصدق وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما
بقيتُ.

قال: فوالله ما علمت أن أحداً من المسلمين
أبلاه الله في صدق الحديث مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا أحسنَ
مما أبلاني الله به والله ما تَعَمَّدْتُ كَذِبَةً مِنْذُ قُلْتُ ذَلِكَ

لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا وإني
لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي .

قال فأنزل الله عز وجل : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ
وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ
إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى
إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ
أَنْفُسُهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ . قال كعب : والله ما أنعم الله
عليّ من نعمة قطّ بعد إذ هداني الله للإسلام أعظم في
نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا
أكون كَذَبْتُهُ فَأَهْلَكَ كما هلك الذين كذبوا إن الله قال
للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد
وقال الله : ﴿سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ
لِتُعْرَضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ وَمَآوَاهُمْ
جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا

عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ
الْفَاسِقِينَ ﴿١٧﴾ .

قال كعب: كُنَّا حُلَفَا أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ عَنْ أَمْرِ
أَوْلَئِكَ الَّذِينَ قَبْلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَأَرْجَأَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْرَنَا حَتَّى قَضَى اللَّهُ
فِيهِ فَبِذَلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ
خُلِفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا حُلَفْنَا مِمَّا تَخَلَّفْنَا عَنْ
الْغَزْوِ وَإِنَّمَا تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ
وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَقَبِلَ مِنْهُ .

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٨/٣٤٢ - ٣٤٣ - الْفَتْح) وَمُسْلِمٌ
(١٧/٨٧ - ٩٨ - النَّوَوِيُّ) وَالسِّيَاقُ لَهُ .

- ٩ -

أُمُورٌ لَا بُدَّ مِنْ تَذَكُّرِهَا بَيْنَ يَدَيِ التَّوْبَةِ

إذا شددت الرحال أخي التائب إلى رحاب
التواب الرحيم فتذكر ما يأتي .

٩ - ١ - أن الله خير بصير يعلم خائنة الأعين وما
تخفي الصدور فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

قال صلى الله عليه وسلم :

«اعبد الله كأنك تراه وكن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل» .

أخرجه أحمد (١٣٢/٢) ، وأبو نعيم في «الحلية»
(١١٥/٦) . وحسنه الألباني في «صحيح الجامع الصغير»
(١٠٤٨) .

٩ - ٢ - انظر إلى عظمة من عصيت ولا تنظر إلى
صِغَرِ المعصية .

قال تعالى :

﴿نَبِيٌّ عَبْدِي أَيُّ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [سورة الحجر: آية ٥٠].

٩-٣- استقبح الذنب فهو:

● سم مهلك يفوت على الإنسان سعادة الدنيا والآخرة.

● سبب البعد عن الله سبحانه وتعالى.

● حجاب بين العبد وربّه جل جلاله.

ومن تفقد نفسه وجدها مشحونة بهذا النقص فإذا وُفق انبعث منه خوف هجوم الهلاك عليه وتوجع بسبب سلوكه طريق البعد عن الله فإذا توجع رجع وبادر بطلب ما يدفع به عن نفسه عوادي الذنوب.

وعلى قدر استقباح الذنب يكون الندم والتوبة، واستقباح الذنب يصدر عن ثلاثة أشياء: تعظيم الأمر وتعظيم الأمر والتصديق بالجزاء.

قال تعالى :

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج : آية ٣٢].

قال ابن مسعود رضي الله عنه :

«إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرٍّ على أنفه».

أخرجه البخاري (١٠٢/١١) والترمذي (٢٤٩٧).

٩ - ٤ - مفارقة المواضع التي أصاب العبد الذنوب فيها والأصدقاء المساعدين له على ذلك ومقاطعتهم ما داموا على ذلك.

وهذا الأمر صريح في حديث من قتل تسعة وتسعين نفساً.

- ١٠ -

أُمُورٌ يَجِبُ أَنْ تَحْذَرَ مِنْهَا

١٠ - ١ - الإصرار على الذنوب .

إن الهداية التامة إلى التوبة من الذنوب لا تكون مع الإصرار عليها لأنه غي ينافي قصد التوبة وغايتها .

قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾
[سورة آل عمران : آية ١٣٥] .

١٠ - ٢ - الإعراض عن مواطن العبر .

قال تعالى :

﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ

تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٌ
بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿[سورة المائدة: آية ٧١].

وقال تبارك وتعالى :

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَوْ
مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ [سورة التوبة:
آية ١٢٦].

١٠ - ٣ - استصغار الذنوب .

قال صلى الله عليه وسلم :

«إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على
الرجل حتى يهلكنه كرجل كان بأرض فلاة فحضر
صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود
والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً
وأنضجوا ما قذفوا فيها» .

أخرجه أحمد (٤٠٢/١ - ٤٠٣) وحسنه الألباني في
«صحيح الجامع الصغير» (٢٦٨٤) .

١٠ - ٤ - المجاهرة بالذنوب .

قال صلى الله عليه وسلم :

«كل أمتي معافى إلا المجاهرين» .

أخرجه البخاري (٤٠٥/١٠) ومسلم (٢٩٩٠) .

أمور تحجب التوبة

١١ - ١ - الابتداع في الدين ^(١).

قال صلى الله عليه وسلم:

«إِنَّ اللَّهَ اخْتَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ صَاحِبِ كُلِّ بَدْعَةٍ».

سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٦٢٠).

١١ - ٢ - الإدمان على الخمر.

قال صلى الله عليه وسلم:

«مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً فَإِنْ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنْ عَادَ فِي الرَّابِعَةِ لَمْ يَقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً»

(١) انظر رسالتي «البدعة وأثرها السيء» في الأمة المكتبة الإسلامية.

فإن تاب لم يتب الله عليه وسقاه من نهر الخبال»^(١).

أخرجه الترمذي (١٨٦٢) وأحمد (١٨٩/٢) وصححه
الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٦١٨٨).

(١) عصارة أهل النار وصديدهم، كما جاء مفسراً في رواية صحيحة
عند أحمد (٣٥/٢ و ١٨٩)، والحاكم (١٤٦/٤).

- ١٢ -

الأنبياء والرسل يتوبون إلى الله

١٢ - ١ - آدم أبو البشر عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى :

﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ
التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: آية ٣٧].

١٢ - ٢ - إبراهيم جد الأنبياء عليه الصلاة
والسلام.

قال تعالى على لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما
الصلاة والسلام :

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً
مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة: آية ١٢٨].

١٢ - ٣ - موسى عليه الصلاة والسلام.

قال الله عز وجل على لسانه:

﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ

الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: آية ١٤٣].

الخاتمة

«رزقنا الله الحسنى وزيادة»

اعلم أيها العبدُ التائب: أنه آن لك أن تأتي بحسناتٍ تُضادُّ ما اقترفت من السيئات، ولن يتأتى لك ذلك إلا بمعجونٍ يُعَجِّنُ من حلاوة العلمِ ومَرارة الصَّبْرِ، فتستقيم على جادة الأمر، وإياك أن تفرط في دين الله ولو قبضت على الجمر، فما هي إلا ساعة حتى يبعثر ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، ويعلم الغافلون أنهم كانوا عن الصراط ناكبون؛ فيكون حالهم كما وصفه فاطرهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. فاعترفوا بذنوبهم فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿[الملك: ١٠ - ١١].

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

فهرس المواضيع والفوائد

المقدمة	٥
قبس من التنزيل	٧
١ - تعريف التوبة النصوح	٨
٢ - وجوب التوبة النصوح	٩
٣ - كل ابن آدم خطاء	١٢
٤ - الحض على التوبة النصوح	١٥
٥ - سعة رحمه الله	١٨
٥ - ١ - مغفرة الذنوب	١٨
٥ - ٢ - قبول التوبة	١٩
٥ - ٣ - يحب العبد التواب	٢٠
٥ - ٤ - يفرح بتوبة عبده	٢٠
٥ - ٥ - يفتح باب التوبة ليلاً نهاراً	٢١
٥ - ٦ - يقبل التوبة وإن تكررت الذنوب	٢٢
٦ - فضائل التوبة النصوح	٢٤

- ٦ - ١ - التوبة النصوح تجب ما قبلها ٢٤
- التنبية على أن حديث «التوبة تجب ما قبلها»
لا أصل له ٢٤
- ٦ - ٢ - التوبة النصوح تبدل السيئات حسنات ... ٢٥
- ٦ - ٣ - التوبة النصوح سبب الفلاح ٢٥
- ٦ - ٤ - التوبة النصوح طريقك إلى الجنة وحجابك
من النار ٢٦
- ٦ - ٥ - التوبة النصوح مطهرة للقلب ممحاة للذنوب
مرضاة للرب ٢٧
- ٦ - ٦ - التوبة النصوح سبب الحياة الدنيوية الهادئة
المطمئنة الطيبة ٢٨
- ٦ - ٧ - التوبة النصوح تثمر بركات من السماء
والأرض ٢٩
- ٧ - شروط التوبة النصوح ٣١
- ٧ - ١ - الإسلام ٣١
- ٧ - ٢ - الاخلاص ٣١
- ٧ - ٣ - الاعتراف بالذنوب ٣٣
- ٧ - ٤ - الندم ٣٤

- ٧ - ٥ - الاقلاع عن المعصية ورد المظالم ٣.....
- ٧ - ٦ - التوبة قبل الفرغرة ٣٥.....
- ٧ - ٧ - التوبة قبل طلوع الشمس من المغرب ٣٧.....
- ٧ - ٨ - الاستقامة ٤٠.....
- ٧ - ٩ - الاصلاح ٤٠.....
- ٧ - ١٠ - البيان ٤١.....
- ٧ - ١١ - الإيمان والعمل الصالح ٤١.....
- ٨ - الصدق في التوبة النصوح ٤٣.....
- ٨ - ١ - نبأ من قتل مائة نفس ٤٣.....
- ٨ - ٢ - نبأ الثلاثة الذين خَلَفُوا ٤٥.....
- ٩ - أمور لا بُدَّ من تذكرها بين يدي التوبة النصوح ٦٠.....
- ٩ - ١ - مراقبة الله تبارك وتعالى ٦٠.....
- ٩ - ٢ - تعظيم الأمر الناهي ٦٠.....
- ٩ - ٣ - استقباح الذنب ٦١.....
- ٩ - ٤ - مفارقة مواطن الشبهات والفتن وخِلان
السوء ٦٢.....
- ١٠ - أمور يجب أن تحذر منها ٦٣.....
- ١٠ - ١ - الإصرار على الذنوب ٦٣.....

١٠ - ٢ -	الاعراض عن مواطن العبر	٦٣.....
١٠ - ٣ -	استصغار الذنوب	٦٤.....
١٠ - ٤ -	المجاهرة بالذنوب	٦٤.....
١١ -	أُمُور تَحْجُبُ التَّوْبَةَ	٦٦.....
١١ - ١ -	الابتداع في الدين	٦٦.....
١١ - ٢ -	الإدمان على الخمر	٦٦.....
١٢ -	الأنبياء والرسل يتوبون إلى الله	٦٨.....
١٢ - ١ -	أدم أبو البشر صلى الله عليه وسلم	٦٨...
١٢ - ٢ -	إبراهيم جد الأنبياء صلى الله عليه وسلم	٦٨
١٢ - ٣ -	موسى صلى الله عليه وسلم	٦٩.....
	الخاتمة	٧١.....
	فهرس المواضيع والفوائد	٧٣.....

Dépôt légal 1er semestre 1991

طبع في المطبعة الجزائرية للمجلات
والجرائد، بوزريعة

الهاتف : 36 . 19 . 94

94 . 17 . 75

79 . 83 . 24